# الهوية الزنجية كأقلية في المجتمع الجزائري:
# (قراءة نموذجية لدِيوَانْ لَعْبِيدْ بمدينة معسكر)

# The Black Identity as Minority in Algerian Society
# ( Typical Reading of Diwan L'abid – Mascara City -)

**الباحثة: قاسمي بتول** *
**المشرف: أ.د.طيبي غماري** **



| الإرسال: | 2018/03/23 | القبول: | 2018/06/28 | النشر: | 2018/12/22 |
|---|---|---|---|---|---|



**الملخص باللغة العربية:**

هذه الورقة العلمية تتضمن قراءة تحليله لموضوع في مجال الهوية والتي تتشكل من فهم الرجل الزنجي او الجماعة الزنجية بممارساتهم وذاكرتهم كنموذج وكاقلية في المجتمع، من خلال عاداتهم وتقاليدهم الخاصة ، وعليه تم عرض جزء نسبي من الموضوع و بدراسة موضوعية وعبر تقنية المقابلة ، بالأخص تقنية الملاحظة بالمشاركة ، وذلك مع طرح اسئلة اولوية وعشوائية على المبحوثين من اصحاب العينة المدروسة وبانتقاء بعض الفرق المتواجدة والمعروفة محليا بمدينة معسكر ، كون – هذه الاخيرة - الاكثر محافظة على هذا الارث التقليدي على المستوى الجهة الغربية للمجتمع الجزائري، ولنبرز الدور الفعّال الذي يمكن أن يؤديه " اهل الديوان" كما يسمون انفسهم في التعامل مع إرثهم الثقافي بالعرف السائد لديهم . و لنبين في نفس الوقت ما مدى تمسكهم بهذا النوع من الطقوس والممارسات الى يومنا هذا ؟ .

* - كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية – جامعة معسكر-.عضوة بمخبر البحوث الاجتماعية و التاريخية.
البريد الالكتروني: [kasmibatoul@yahoo.fr]
** - عميد كلية العلوم الانسانة و العلوم الاجتماعية – جامعة معسكر.

**كلمات مفتاحية**: الهوية الزنجية – ديوان لَعْبِيدْ – المجتمع الجزائري.

**ملخص باللغة الإنجليزية:**

Abstract: This scientific paper gets to include a reading analysis of the identity as topic, Which consists of understanding the Negro man or Negros group their practices and their memories as a model and as a minority in Algerian society, Through their customs and their own traditions, so we were presenting in this part of substantive description by the remote observation technique , especially participant observation at whom ,and to ask for their some random questions from this sample studied , and by some selection of groups in Mascara city , - this last one – it's the most preserve for their heritage traditional in the western of Algeria, and to highlight the role effective that could be played by "People of Diwan " or " Ahle El -Diwan " as they call themselves in dealing with their cultural and by their custom . At the same time to show their how can their.

**Keywords**: The Black Identity Identity – Algerian Society –Diwan L'A3bid.

**مقدمة:**

إن الفرد كائن ثقافي و فاعل اجتماعي بامتياز فهو صانع للثقافة وفي الوقت ذاته هو مصنوع بها ، و لان الثقافة ليست نتاجاً فردياً يختاره ويوجهه حيث ما شاء ، وإنما الثقافات تتكون ضمن ظروف طبيعية وتاريخية واجتماعية وسياسية. اذن هي مصطلح أو تراث تراكمي على مر العصور بل هي فلسفة من فلسفات الحياة ، ما يعني : انها مكون او مزيج يندرج في إطارها كل نشاط فكري او أي ممارسات.

من ثم جاءت الحاجة مع هذا الكائن الاجتماعي الى التفاعل مع بني جنسه، وما نعيشه حاليا من تحولات جذرية على جميع الأصعدة والأنساق: سياسيا، ثقافيا، اجتماعيا .....الخ ، خير دليل على ذلك، منه النسق الديني الذي يعتبر كمرجعية اساسية في التحليل عند المفكرين ،و عليه يُبنى هذا الاتصال بين بني البشر عن طريق

التواصل مع بعضهم البعض ، لكن قبل كل هذا لابد من عنصر اهم ومكون اساسي في صنع هذا الانسان ، الا وهي "الهوية" كونها من المواضيع المثيرة والتي افاضت الاقلام في الحقل او التحرير السوسيولوجي.

فلا احد ينكر اليوم آن موضوع الهوية لم يطرح بصورة واضحة بعد ، وحتى وإن طرحت فإن طرحها كان على سبيل العرَض الفلسفي لا الجوهري، ،الأمر الذي جعلها تنحصر في زاوية مغلوقة و ضيقة و لا يسمح لها بالتقدم اكثر من ذلك، مما زاد الامر اكثر تعقيداً.

وفي هذا السياق المذكور انفاً ؛ نحاول في هذه الورقة العلمية ومن جهتنا أن ندرج قراءة مرجعية لهوية جماعة كأقلية في المجتمع الجزائري من خلال دراسة أبعادها الثقافية مع فهم ما يعتري هذه الهوية من غموض ،وكرهان للموضوع لأعوّل عليه وأسعى للتعمّق فيه اكثر ، رغم أن الحقل النظري فيه ضئيل جدا ، وعلى سبيل الذكر سنقدم دراسة ميدانية بمنظور سوسيولوجي لنخوض في غمار البحث عن هذه المجموعة كون لها طريقتها وممارستها الخاصة ، فلقد تأثرت بالبيئة التي عايشتها وامتزجت بما يميزها عن غيرها وبالتالي الإشكال المطروح هو :

- ما الذي نقصده بـ : "ديوان العبيد" ، وما هي الممارسات الاحتفالية التي تصاحبه هذا الطقس في المجتمع الجزائري ليبقى كموروث ثقافي بين الاجيال ؟

**الفرضية:**

يعتبر "ديوان لَعْبيدْ" بمثابة مخزن ثقافي للمحافظة على الهوية الزنجية في المجتمع الجزائري.

**تحديد مفاهيم الدراسة:**

أ- **الهوية الزنجية** Black Identity : تبقى الزنوجة تلك الهوية المقسمة على اساس اللون او بأصحاب البشرة السوداء في كل مجتمعات بما فيها حتى المجتمعات المتقدمة ،كأوربا وأمريكا او المجتمعات العربية، وبالحديث عنها مباشرة يتبادر في ذهن الفرد الجزائري؛ ذلك الرجل الاسود القادم من القارة الافريقية؛ اي افريقيا السمراء، او ذلك العبد الذي تم جلبه من هناك ايام الفترة الكولونيالية وما قبلها، و "العبد" هنا يعني الخادم لسيده، ففي مجتمعنا مثلا هذه الاقلية الزنجية المتواجدة بالمنطقة المدروسة ، تقوم بالتمييز بينها و بين بعض السود الاخرين على اساس شدة او قلة اسوداد البشرة او على اساس العرق حيث يقول احد المستجوبين : "ان هناك فرقا بين الاسود الحر

والاسود العبد المنتسب الى سلالة العبيد الذين تم جلبهم من غرب القارة وجنوبها بهدف التجارة او خدمة الاسياد"؛ وهذا ما صرح به بعض المبحوثين في التفرقة بالاخص في الفرق المتواجدة بحنوب الجزائر بالضبط في ادرار ،و ذلك في التفريق بينه وبين الرجل القادم من البلاد الافريقية ، ولو ان تاريخ يتحدث عن هذه الاقلية على انها تنحدر من سلالة العبيد الذين تم استعبادهم خلال العصر الوسيط بداية من القرن 16 م من أفريقيا السوداء، بالاخص افريقيا الغربية والمسماة بالسودان الغربي قديما (الطالب،م .2014: 62) ، لكن يبقى في ذهن المبحوث هذا التصور عن نفسه وعن الاخرين المحيطين به.

ب- **ديوان العبيد** Diwan l'A3bid : يحمل هذا المفهوم داخل رحم الميدان وفي طياته العديد من المعاني والرموز؛ حيث يقصد به على انه نوع من السهرات الليلة او الاحتفال على ارض الواقع ، يكون مصحوبا بممارسات طقوسية لها افتتاح قبل بدايته واختتاما بعد نهايته، كما انه يتضمن مجموعة من المقطوعات او المعزوفات تسمى "الأبراج" لها نهج خاص ،وكل فرقة تتمتع بطريقتها الخاصة ،لكن تعمم على انها "طريقة قناوية" او "طْريق قناوة" - بسكون الطاء - المعتمدة والموروثة على حد تعبيرهم ، تتنوع مناسباته حسب ما يكون من اجله هذا الديوان او لأي سبب يقام له ؛ بمعنى اخر لمن وفي اي مقام ستكون هذه المأدبة أو بأي كيفيه يتم احياءها ، يستمر لساعات و لكن عامة يبدأ بعد المغرب وينتهي صباحا، يتوفر على مبادئ ومنهجية يجب اتباعها واحترامها، كما انه يتضمن بداخله عدة ممارسات طقوسية من رقص، جذب ،غناء، عزف ،حضرة .....الخ.

**الإطار الميداني للدراسة:**

ان وصف هذه الظاهرة بدلالة و صيغة اجتماعية؛ يجعل من الموضوع عبارة عن نقل لأحداث الواقع الميداني من خلال ممارسات المبحوثين ، وبالتالي ترجمته بصيغة علمية لتوضيح اهمية الدراسة ؛ اي ان ما تم عرضه في هذه الموضوع هو فقط جزء من دراسة معمقة ، و عليه ان أول اداة في هذا البحث كانت "الملاحظة بالمشاركة" كأهم وسيلة في تسجيل و تدوين العناوين **(العسكري، ع .2004: 44)**، تمت بالضبط مع اربع مجموعات من الفرق المتواجدة بمدينة معسكر، كون هذه العينة ملائمة لتفسير مصادر المعلومات؛ بمعنى اخر كان هناك حضور فعلي بمشاركتنا مع طقوس المبحوثين من الاحتفالات السنوية المعروفة و اياهم سواء منها الدينية ام

الثقافية ،بحيث تطلب منا البحث لفهم الموضوع المشاركة الميدانية في كل مناسبة منظمة من السهرة الليلة للديوان الى الوعدة . الليلة الشعبانية ، ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان الهجري ، المولد النبوي.....وغيرها، بالاضافة الى تقنية "المقابلة" كطريقة للتواصل مع المبحوثين و لدعم بعض الامور والمفاهيم الغامضة حول المعلومات المذكورة آنفا .

**سوسيولوجيا الهوية الزنجية (الهوية القناوية في المجتمع الجزائري):**

يحتل مفهوم الهوية حاليا موقع الصدارة في مجالات شتى ، حيث اصبح اللفظ يستعمل في المجال العلمي ليدل على اشياء عامة و بديهية ، مما يجعله يعني اي شيء إلا مفهومه العلمي الأصلي ولأنه يتسم بالغموض و التعقيد طُرح على بساط البحث و الدراسة في الكثير من الاعمال المتعددة الاختصاصات ، و في هذا الصدد نشير الى ان عددا من الاعمال ذات الاتجاه السوسيولوجي قد ركزت على الهوية الثقافية والهوية الوطنية بصفتهما ايديولوجيتين بين يدي الدولة تستعملهما عند فشل سياق اي مسار تنموي .

يشير الباحث "مالك شبل Malek Chebel " :" ان مسالة الهوية مازالت في بدايتها كما انها ظلت مهملة من قبل الباحثين الى عهد متأخر جدا ، وبقيت عرضة للتشويش..... كما انها معقدة ، و الاهتمام بها سيجعلنا نستبين انها تعود الى نقاش على مستوى (الندوات العامة )" (حدية، م .1996: 24).

ومن خلال الكتابات السوسيولوجية فقد نجم عن ذلك تفاوت في ادراك اشكالية ومسالة الهوية وما يوليه الباحثون الى تحليلها الى الهوية الاثنية او الجماعية، و هو اهتمام لم يأتي اعتباطيا، بل بسبب صعوبة محاولة ضبط الشروط الثقافية الضرورية لاعادة انتاج مجتمع ، تأتي الهوية الجماعية التي تضمن استمرارية الجماعة او المجتمع كما ترسم في الزمن حدودها داخل وسطها الاجتماعي و الطبيعي (حدية، م .1996: 28 ) . و يبدوا ان من خلال المقابلات التي اجريناها مع المبحوثين ، هم فعلا يشعرون بهذه الدونية و النقص ثقافيا و اجتماعيا ، حيث ان هذا الرجل الزنجي يتفسح و يجول باحتفالاته وطقوسه خارجا للشارع ليظل اسودا كهوية وعنوان؛ وذلك بعدة طرق منها تحقيق الذات الاصلية من قرع الطبول وإسماعها للأخر بصوت عالٍ و جد صاخب، مع ضرب بالأيدي والقفز بالأرجل في حركات فلكلورية، وهي نفسها سلوكات اشبه بما تكون في اجترار نحو هوية (الغابة والصحراء) او (العرق السوداني

القديم) ، و لا ننسى أنهم يعيشون داخل هذا المجتمع الجزائري عبر الاسطورة المؤسسة في الانتماء الى الصحابي الصالح "بلال بن رباح " المرافق للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ونستهل في بداية ظهور جذور هذا الفكر الديني في لقب الهوية الاسلامية نسبة لما عاشه هذا الرجل الزنجي من حياة بسيطة وعادية ؛ فما اسماه المبحوثين فرقة "سيدنا بلال" او "فرقة البُلالية" او عدة تسميات متنوعة ما هو إلا رغبة في استعارة مكتوبة داخل لون بشرته السوداء ، حيث ارادت منه تلك الفرق المتعددة في المجتمع ان تكون دون هامش العروبة والدين ، بعد ان أضل هؤلاء "البِلاليون" هويتهم في قلب افريقيا، بل وحتى يحسون انهم يفتقدونها في البلاد المعيش ،فذاتهم اشبه بما تكون بقطار تعطل في صحراء قاحلة منها كانت بداية لإنشاد مدائح نبوية وأولياء صالحين وأبطال سابقين. ... .....وغيرهم.

نذكر في سياق حديثنا الطرح الفانوني ، حيث يُعتبر المفكر **"فرانز فانون Frantz Fanon "** وجهاً بارزاً في الدراسات التي تُعرف ما بعد الاستعمار، رغم ان تحليله لم يتلق الترحيب في حيز الفكر العربي ،الا انه خلص في صياغة الهويّة حول الاعتراف المتبادل بين الأنا والآخر، وضرورة التحرر المفروض والمزيف لصورة نمطية عن المستعمرين،و الذي رأى ان العنف علاجا لها، بيد ان قراءته النموذجية كانت بين قضية جدل السيد والزنجي او الاسود ، بما هي نظرية في العدل الرمزي والمادي في كتابه : "بشرة سوداء وأقنعة بيضاء"، فالمدونات الفلسفية الفانونية بالأخص في تحليله لسياسة الاعتراف التي تشكل مدخلاً مناسباً لدراسة موضوع الهويّة و الذي كرّس له جهداً كبيراً في اعماله . عندما عمل كطبيب نفسي لسنوات في مستشفى (البليدة) بالجزائر **(Frantz , F . 2013 :63)** ، كما اصبح يرى العنصرية كظاهرة مرئيّة في صورة الاستلاب/الاغتراب. فقد وصف الإنسان الزنجي، بأنه: "يفعل كل ما بوسعه حين يصل إلى فرنسا لكي ينفي هويته الزنجية، فتراه يقول متباهياً: إنّ الزنوج إفريقيون، أمّا هو فإنسان مهذّب تشرّب الحضارة الأوربية، وإن كان ملوّنا **(كوت، د. 1971: 115)** ؛ و يعني هذا أنّ الزنجي لا يعطي أهمية للون البشرة، واضعاً على وجهه قناعاً أبيض، فإنّ تفسير سلوك الزنجي في هذه الحالة يكون ببحث عن التعويض الزنجي العاجز عن تحقيق ذكوريته اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً والتي يعوّضها بالرياضة اوالجنس.

وعليه ما يقصده هنا من هذا الاستلاب، والذي يعاني منه الإنسان الزنجي ومن يماثله يكون في الوضعية الدونية.

بالتالي ان هذه الجماعة القناوية و كل ما تحمله سواء من زي رسمي خاص، او تراث مادي أو غير مادي يعبر ويشرح لنا بوضوح المؤشرات والابعاد الرمزية للهوية، وعليه كي ينجح هؤلاء لابد من اعادة انتاج صنع هوية ممزوجة بالعودة الى الذات الافريقية مع امتلاك هوية اسلامية موسومة في دقات الطبل ورقصات الجسد و الفاظ غنائية.

**سوسيولوجيا ديوان الزنوج (ديوان لْعْبِيدْ):**

بالرجوع لموضع هذه الجماعة ، تعتبر "الجماعة القناوية" ان كل ما تحمله من موروث هو فن ثقافي وديني له خصائصه ذات الأصل الافريقي ، حيث ان ابعاده تكمن في التزاوج بين القارة السمراء الموزعة في بلاد المغرب العربي على وجه الخصوص، و بين الجذور الاصلية الإفريقية و العربية الإسلامية، بل ان هذا "الديوان" كمؤسسة كما تم تسميته له مرجعيات من الثقافة المازجة لجراح الماضي الأليم والمرسخة في ممارساته وطقوسه الفنية التابعة له، فهو مركب لمنتوج يعيد صنع قالب درامي مأساوي يعبر فيه بشكل من فيلم او مقاطع ترويحية متسلسة ،تعرض لنا قصص لأبطال ومؤسسي للأحداث بطولية ، و في نفس الوقت تشخص حالات نفسية لبعض المرضى يقصدونه بهدف العلاج الجسدي او الروحي او حتى الاجتماعي ، كما انهم يجسدون لهويتهم الدينية الاسلامية فيه من خلال المرور على بعض الاولياء الصالحين وذكر السلف الصالح مع الانبياء المرسلين لذلك ، بل وحتى اديان اخرى لثقافة اخرى توضح طريقة العيش القديمة التي كانوا يعيشونها في البلاد الافريقية.

اذا يمكن القول ان هذه المؤسسة اشبه بما يكون عبارة عن ذلك الكل المركب او المتراكم من اجزاء مصنفة او متسلسلة الاحداث له مقاطع تتضمن غناءاً وطرباً وآلات ورقصا وجذباً و رداً وحتى عطاء من الاخر ، ذو طابع مادي ولا مادي، يحكي مجموعة من النماذج الاسطورية.

وفي الحديث عن نفس السياق "الديوان" يعتبر مؤسسة من خلالها يتم الحفاظ على هذه الهوية الضائعة او الهوية الممزقة ليتم استردادها ؛ لأنها حق مسلوب بالنسبة اليهم ، ان هذه "المؤسسة الديوانية" عبارة عن ذلك الكل الذي يحمل العادات، التقاليد ، العرف ....الخ، مكانه وزمانه الارضي اسمه: "المحلة" وهو عبارة عن

مسكن غالبا ما يكون لونه الاخضر المعتمد لدى جميع الزاويا ، مع قبة تكون فوقه احيانا، مما يرمز للدين الإسلامي، له مقام، لكن البحث الميداني لم يبين ان هناك ضريحا به، و هذا ما يبين التناقض هوياتي عند هؤلاء، كون ان هذه الجماعة لم يكن لها وجود بالموازاة مع حضور الصحابي الجليل " بلال بن رابح"، بحيث لم يسبق لهذه الممارسات ان ذكرت انذاك كهوية عرقية للزنوج، و مع ذلك فهم يربطون تلك الاحداث من الاساطير المذكورة ؛ اي يُستنشدون بها اثناء تأدية الطقوس بالأخص في المدح والمناداة بأسمائهم و بما يربطهم به.

كما يعتبر مقام وليس ضريح «سيدي بلال» على حسب قولهم المرجع الأعلى، ومقام الاب الروحي لقناوة، كتسمية لهم و كنعت محلي من قبل افراد سكان المدينة المدروسة. ففي كل زاوية او محلة استحضرناها، لاحظنا انه لا وجود لضريحه كولي، بل توجد الزاوية التي تحتضن في السابع والعشرين من شهر شعبان الموسم السنوي للطائفة القناوية وعلى ايقاع الموسيقى القوية والحارة للمجموعات المنتسبة إلى الطائفة، تخرج نخبة من الاتباع في جولات بين المدن لجمع الهبات والصدقات للزاوية، بلباسها الفلكلوري المميز ذي الالوان الحية، خصوصا الحمراء والزرقاء.

وعليه تبقى هذه المجموعة ولاتزال تحس انها تستنجد بهذه الهوية القديمة الاصيلة التي لها جذور تاريخية، فهم بحاجة لاسترجاعها ، لهذا يحاولون ترسيخها عبر احياء الطقوس الاحتفالية الدينية منها و موسمية ،،،،الخ ليتوائم مع عادات و تقاليد المجتمع المحلي .و على سبيل المثال كزيارة الاضرحة ، احياء المولد النبوي او "الشَعْبَانِيَة" و"الرمضانية" نسبة الى شهر شعبان و رمضان من السنة الهجرية، وأهم في ذلك ان بين هذين الشهرين المذكورين أنفا، هما بوابتان جوهريتان في افتتاح واغلاق العام الميلادي والهجري بالنسبة لهم ؛ وما نعنيه هنا ان شهر شعبان هو الغلق اي شهر التوقف عن هذه الطقوس ،اما الثاني فهو شهر الفتح او فتح الطقوس التي اغلق عليها سابقا بإحكام مع بداية السنة الجديدة، او بالأحرى لنفهم ان الشهر الثاني هو شهر محرمات او ممنوعات .

نقصد مما سبق ذكره ان الفتح يكون بالدخول في ممارسات عن طريق الطقوس لاستقبال العالم الخارجي اللامرئي؛ اي في عالمنا الخاص ، وذلك بإنشاء علاقة بين الكائنات الماورائية لاستقبالها على الارض ، بل ولنخلق صداقة سلمية مع هته الارواح اللاملموسة ، وحتى نتجنب أذيتها او بغية تحقيق هدف معين او تلبية حاجة

بشرية من الامور الدنيوية المتعلقة بالحياة الانسانية كالشفاء ، الزواج ، علاج العقم، ميلاد شيء، تخفيف من الالام و الضغوط النفسيةو العلاج الجسدي او اي مرض لم يستطع الطب تشخيصه او علاجه .....و ماشبه .

ونستهل هنا جانبا للحديث عن هذه الاقلية المتواجدة بالمجتمع الجزائري فلا احد ينكر ان هؤلاء عاشوا عنصرية وتمييز في كل المجتمعات بنظرة دونية من الدرجة الثانية في المجتمع .و الحقبة التاريخية توضح ذلك من كتب و البيانات(السباعي ،م1999 : 117)، بالرغم من هذا ، لم يمنع "ديوان لعبيد" ؛ اي هذه المؤسسة من ان تتوفر على مقاطع تتضمن على مجموعة من الاغاني او ما يسمونه " الابراج " كل برج تنسب من خلاله الى قبيلة معينة كانت من قبائلهم المنحدرون منها ، فهم يعتبرون انفسهم احفادا لها الى يومنا هذا، وعلى مرِ اكثر من 6 قرون لا يزالون على ذكرها ، تعرف حسب ترديد الغناء المعزوف وحسب الرقصة المتبعة، بها مجموعة من قوانين يلزم سلكها لعدم الوقوع في اخطاء او اضرار او اذية ، لانها تعود على صاحبها او اهلها بالندم او بالعكس كما يعبرون في قولهم، اما الدَرْدْبَة: فهو مصطلح شعبي وهو االدَّارِبُ : الطَّبَّالُ، أما الدَّرْدابُ : صَوْتُ الطَّبْلِ، في حين أن الدردبة هي الخضوع. (عمر ،ا.2008 : 782 ).

يتحدث بهذا الصدد الباحث "سليم الخياط" في دراسته عن مقال له بمقاربة تزامنية للعمل الهوياتي حول ديوان سيدي بلال ،موضحاً أن ما كان من عنصرية عرقية لهذه الأقلية ، كان سببه ما أدلى به الإستعمار في البلدان الإفريقية، وفي نفس الوقت كان ظهور الحركات والطوائف والطرق الصوفية، والتي ظهرت على المستوى الإيديولوجي للدين، بظهور مؤسسات كما اعتبرها هو ضمن إعادة تركيب المجتمع التقليدي، حيث أصبح الدين فيها كحل وحيد وقناة فعالة لمواجهة النخب الكولونيالية، وإحدى هذه المؤسسات هي مؤسسة السود (Salim :71-88 .(khiat,2003

وعليه "الليلة القناوية" تنقسم إلى عدة عتبات طقوسية، بدءا بما يسمى الاستعراض ورقصة احتفالية وإعلان لبداية الليلة، ويقتصر أداؤها موسيقيا بالقراقب الحديدية والة القمبري التي لها موقعا رمزيا مثقلا، مع احترام تام لتراتبية «االابراج »؛ أي الأركان الطقوسية او المقاطع الموسيقية، تذكر فيها مناقب الصلحاء ومكارم الأولياء وبطولة الأسياد، كما ان هذه الموسيقى ذات ايقاعات قوية محملة بثقل الأساطير

والمعتقدات الموغلة في القدم، ومشحونة بالإرث الحضاري الأفريقي والعربي المعاش . ويسمى هذا النوع من الموسيقى في تونس بالإسطنبالي، وبالمغرب قناوة، وبالجزائر الديوان وقناوة، وبليبيا وبمصر الزار .....الخ.

كما ان آلة القمبري GOMBRI هنا هي اميرة الالات الموسيقية ، يرجع تاريخ وجودها إلى اكثر من خمسة قرون، فهي مصنوعة من المواد أولية منها الخشب والجلد ذات اوتار، يمكن وصفها على انها عبارة عن صندوق رنان له ذراع خشبي طوله حوالي متر وعرضه 15 سم تقريبا. تثبت به جلجلة معدنية مصنوعة من الحديد عند نهاية المقبض لتصدر صوتا و رنين اهتزاز مساوي لحركة القمبري وايقاع الاوتار ، يختلف شكله حسب كل منطقة ففي غرب الجزائر شمالا وجنوبا ياخذ شكلا مستطيلا كمدينة : معسكر ، بلبعاس ،تلمسان ،وهران، تيارت ، مستغانم ،سعيدة، بشار....وغيرهم ،نفسه بمملكة المغرب ، اما بالشرق الجزائري فهو دائري كقسنطينة ، بسكرة.....وحتى بتونس نفس الشيء، كما يتربع على عرش هذه الالة ليعزفها شخص اسمه "المْعَلَمْ.

وعليه يبقى الواقع الميداني المتوفر لدينا في هذا المحيط الثقافي الخاص يحيا فيه ويستمر وهو ما يمنح رمزا للهوية، و في ظل هذه الممارسات الطقوسية بالمجتمع المحلي نجد ان الرجل الاسود بأفعاله الحاضرة و بقوة في معظم المناسبات بوجهٍ عام ، ما جعل هذه دراسة أكثر تعقيداً من ناحية التمسك بالهوية المحلية وحتى الهوية المفقودة الدينية منها و الثقافية، والتي عملت على صنع و بناء علاقات و تفاعل داخل الجماعة والمجتمع معا،اما مؤسسة الديوان فهي التي قامت بهذا الدور في اعادة انتاج هذه العملية مع مجموعة من افعال لها وظائف تؤمن إستقرارها. فلا ريب في ان هذا الديوان مرآة لهوية الجماعة ، وقد سعى الرجل الاسود او " العَبْدْ " على اللسان المحلي للمنطقة المدروسة على احتضان ممارساته التقليدية وجد فيها مخزناً ثقافيا هائلاً من شأنه يعتبر حاملا غير نافذ من هموم الناس واعبائهم ، كما يتضمن الابداع الشفوي ببعده الافريقي، والذي تدخل فيه المعتقدات والعادات والتقاليد والمراسيم والممارسات الشعبية بمثابة كنز مفقود يتم استرجاعه مع ماضي اليم في عصرنا الحالي هذا. وفي هذا القول اشارة ضمنية الا ان مبعث الفرد المعاصر الحديث هو لجوءه الى الطقوس الموافقة للاسطورة المؤسِسة ،انما يأتي استجابة لواقع العجز الآلي له. حيث تلخص هذه المعتقدات الاسطورية عندهم المراحل التي مروا بها .

**خاتمة:**

ومن نافلة القول أن نذكر هذه الرمزية المباشرة بشكل واضح في مبدأ أن ثمة علاقة اعتباطية وقوية بين الهوية الرجل القناوي الاسود وبين المؤسسة الناشئة في الحفاظ عليها ،و ما يمكن قوله ان الذاكرة الجماعيّة للرجل الاسود والتي تعتبر الجهاز الجبّار الّذي يؤمّن هذه العمليّة المتواترة بما يحفظها من التآكل و الإضمحلال. إنّما تعيد الجماعة القناوية الى تركيب وصياغة تشكل الهويّة في الحاضر، يعني هذا أنّ الهويّة المستلبة تحتاج إلى أن تكتشف على نفسها، وأن يتمّ الاعتراف بها وبحقوقها، في هذه الحالة تتشكل جزئياً بالاعتراف أو بغيابه، وكذلك بالإدراك الخاطئ أو المشوّه الذي يملكه الآخرون عنا مع إمكانية وحاجة للوعي ولاكتمال الذات لأنه باعترافه تستعيد الهوية جزءاً من وعيها.

كما يصبح "الديوان" عبارة عن مخزون ثقافي كبير يحمل معاني عدة تجعله ارثا واسعا وثقيلا بالمعاني والعادات والتقاليد في ممارساته طقوسية، يبرز من خلاله البعد الإفريقي للجماعة كتعبير عن الهوية المفقودة او مرجعية للاجداد ،بل و يثبت عقائد متعددة ومختلة ومتنوعة فيه لأصاحب وحاملين هذا الارث والذي يميزهم عن غيرهم من الافراد من خلال إعادة إحياء المناسبات ومحافظة عليه من الزوال. منها ما يتميز كذلك بأسماء المتبنية لديوان "سيدي بلال" او "ديوان العبيد" او "ديوان القناوي"، ولما يجمع هذه الاسامي من هويات مختلفة انتماء للصحابي السيد "بلال بن رابح"، والهوية الافريقية القادمة من الجنوب الى الرجل الاسود ذو البشرة الداكنة، وكما يوضح هويته كعبد مملوك لسيده او التفاوت الطبقي المخلف من الاستعمار و من العبودية بصفة عامة .

**هوامش الدراسة:**

**المراجع العربية:**

1- الطالب محمد عبد العزيز(2014). "الشخصية السودانية الجدور و المكونات و الخصائص و السمات (دراسة انثروبولوجية نفسية ) ". السودان :دار عزة الخرطوم .

2- العسكري عبود عبد الله . (2004)" منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية ". سوريا: دار النمير.

3- حدية مصطفى.(1996)." التنشئة الاجتماعية والهوية". تر: محمد بن الشيخ. الرباط: دار النجاح الجديدة منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية.

4- كوت دافيد.(1971) ." فرانز فانون". تر: عدنان كيالي. بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

5- السباعي مصطفى.(1999). "من روائع حضارتنا". السعودية: دار الرواق .

6- عمر احمد مختار.(2008). "معجم اللغة العربية المعاصرة". المجلد الاول. القاهرة :عالم الكتب.

7- سابينو أكوافيفا ،(2011) ." علم الإجتماع الديني (الإشكالات و السياقات ) "، ، تر : عز الدين عناية. أبو ظبي : هيئة الثقافة و التراث للكلمة.

**المراجع الأجنبية:**

8- Frantz Fanon.(2003) .Peau noire. masque blancs. Algérie :Talantikit.

9- Salim khiat .(2003). "Diwan de Sidi Belal : Une œuvre Identitaire et Approche Syncritique". " l'Algerien et son Mythe (imaginaires Sociaux et Mècanismes d'Identification). Nouvelle Serie n°1. (CNRPAH), Alger :Traveaux du Centre. Nationale de Recherche Prèhistorique Anthropologiques et Hèstoriques.